

## اختلاف العلماء

إن العلم يعتمد على النظرية والتجريب، ويمكن أن يتم بعد فترة زمنية إثبات النظرية فتتحول إلى قانون. وعدم القدرة على إثبات النظرية لا يعنى خطأها، ولكن تبقى التجربة وما تسفر عنه هي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها وهي أقوى من النظرية والقانون.

### اختلاف علماء الغرب

كان هناك دائما اختلاف بين العلماء، وخاصة النظريين منهم، مع العلماء التجريبيين أو العمليين في كثير من الأحيان. مثال ذلك عالم الفيزياء النظرية المعاصر الانجليزي الأصل ستيفن هوكنج Steven Hawking في نظرياته عن نشأة وتطور الكون. لقد حارب نظرياته العديد من العلماء التجريبيين بل والنظريين أنفسهم، وقد حاربه بعض المؤسسات العلمية المهمة على مستوى العالم. ومازالت نظريات ستيفن هوكنج بدون تجريب أو إثبات عملي على صحتها حتى الآن، وبالتالي تظل نظرية وليست قانونا. لكن لم يصل هذا الخلاف بين العلماء الغربيين وبعضهم إلى حد القذف أو التناول كما يحدث في مجتمعاتنا حين نختلف. من المعلوم أن ستيفن هوكنج صاحب نظرية الأوتار في ميكانيكا الكم لفهم نشأة الكون، وله نظريات في الثقوب السوداء في الكون، ويقول في كتابه الأخير «الكون في قشرة جوز» إن الكون بدأ في شكل كرية مفلطحة في أجزاء منها، تشبه قشرة الجوز في حجمها

وشكلها وإن الثقوب السوداء لم تعد كاملة السواد، وإنما هي تشع وتتبخر لتتلاشى، وحيث ينشأ الكون من بذرة حجمها وشكلها كثمرة جوز حسب نظرية هوكنج.

الخلافاً الذي كان قائماً بين العالم الانجليزي إسحق نيوتن Isaac Newton والعالم الألماني جوفريد لايبنتز Gottfried Leibniz في أحقية كل منهما في اكتشاف علم التفاضل كان فيه بعض المغالاة من نيوتن، إلى أن وصل هذا الخلاف إلى مرحلة متدنية من نيوتن باتهام لايبنتز بالسرقة العلمية. حقيقة كان هناك شجار بينهما ولكن لم يصعد لأكثر من بعض الاتهامات، وبدون قضاء أو قضايا أو تصفية أو إقصاء أو عمليات تكفير كما يحدث في بلادنا. من المعلوم أن الجاذبية وقوانين الحركة كلها كانت من نظريات وإبداعات نيوتن وكان لايبنتز متميزاً في القوانين والمفاهيم الأساسية لعلم التفاضل والتكامل وبالفعل قد تصدى لها أيضاً نيوتن ولكن لايبنتز كانت مفاهيمه أكثر وضوحاً. أيضاً صامويل كلارك تلميذ نيوتن قد تصدى مع أستاذه للهجوم على لايبنتز وأخذ يفند عيوبه وسقطاته بطريقة غير مرضية، ويمكن أن تكون تلك الصراعات قد بدأت نتيجة لتدخل كليهما في الكتابة في تبسيط العلوم وتعرضهما للدين أحياناً. فيقول نيوتن «لقد تمنيت لو تعمل مبادئ نظام الكون على غرس الاعتقاد بوجود إله لدى البشر»، وقال «إن هذا الاتساق المعجز في نظام الكواكب لا بد أن يكون له فكرة الاختيار». وعلى الرغم من هذا، أصر نيوتن على أنه لا بد حتماً من التدخل الإلهي في آخر الأمر لإصلاح هذا النظام، نظراً للنمو البطيء للتقلبات. وقد سخر منه لايبنتز متجنباً في هذا الأمر قائلاً «يلزم الرب أن يضبط ساعته بين الحين والآخر وإلا توقفت عن الحركة. يبدو أنه لم يكن لديه البصيرة الكافية لجعل حركتها دائمة».

من المعلوم أن إسحق نيوتن (١٦٤٣ - ١٧٢٧) كان فلكيا وفيزيائيا وواحدًا من العلماء الأكثر تأثيرًا في تاريخ البشرية. ويعد كتابه «الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية» والذي نشر عام ١٦٨٧ من أكثر الكتب تأثيرًا في تاريخ العلم ووضع أسس لمعظم نظريات الميكانيكا الكلاسيكية. في هذا الكتاب، وصف نيوتن الجاذبية العامة وقوانين الحركة الثلاثة، التي سيطرت على النظرة العلمية إلى العالم المادي للقرون الثلاثة التالية لوفاته. أوضح «نيوتن» أن حركة الأجسام على كوكب الأرض والتي لها أجرام سماوية تحكمها مجموعة القوانين الطبيعية نفسها عن طريق إثبات الاتساق بين قوانين كبلر الخاصة بالحركة الكوكبية ونظريته الخاصة بالجاذبية؛ ومن ثم إزالة الشكوك المتبقية التي ثارت حول نظرية مركزية الشمس مما أدى إلى قيام الثورة العلمية. وفيما يتعلق بالميكانيكا. قنن «نيوتن» مبادئ بقاء الطاقة الخاصة بكل من كمية الحركة وكمية الحركة الزاوية. وفي علم البصريات، اخترع «نيوتن» أول تلسكوب عاكس علمي. بالإضافة إلى ذلك، صاغ قانونًا للتبريد ودرس سرعة الصوت. وشارك «نيوتن» «لايبنتز» في تطوير حساب التفاضل والتفاضل الذي أثار بينهما المشاكل. كما أثبت أيضًا نظرية ذات الحدين المعممة. تظل مكانة «نيوتن» الرفيعة بين العلماء في أعلى مرتبة. وكان نيوتن تقيًا متدينًا علي الرغم من أنه لم يكن متفقًا مع الأعراف الدينية القائمة، وكان مؤلفًا للعديد من الأعمال في تفسيرات الكتاب المقدس، ويمكن أن تكون أكثر مما أنتجته في العلوم الطبيعية. والتي لم ينس العالم إسهاماته بها حتى الآن. ومن المعلوم أن هناك الكثيرين أيضًا ممن اتهموا نيوتن بأنه ملحد.

يمكن القول إن هناك خمسة علماء لعبوا دوراً أساسياً في نقل أوروبا من مرحلة التخلف إلى مرحلة النهضة. هؤلاء العلماء هم البولندي كوبرنيكوس، والدنماركي تايكو براهه، والألماني جوهانز كبلر، والإيطالي جاليليو جاليلي، والانجليزي إسحق نيوتن. ولعل أكثر هؤلاء العلماء تأثيراً هو كوبرنيكوس لأنه هو صاحب النظرية الأولى التي زلزلت كيانات الجمود القائمة في عصره وهي مركزية الشمس ودوران الأرض حولها. إن نتائج نظريات كوبرنيكوس قد تخطت حدود الفلك لتؤثر في الدين والسياسة والفلسفة والثقافة الإنسانية كلها. وقد أثبت خطأ نظرية بطليموس - أرسطو التي استمرت أكثر من ٢٠ قرناً دعمتها الكنيسة، وجعلت مجرد التشكيك في هذه النظرية كفراً. إذن الأرض تدور حول الشمس والأرض ليست مركز الكون بل كانت كل هذه السنين الماضية على خطأ. وقد تحدثنا عن إسحق نيوتن بالتفصيل أما العلماء الخمسة الباقون فهم:

١ - نيكولاس كوبرنيكوس Copernicus (١٤٧٣ - ١٥٤٣) العالم الرياضي والفلكي البولندي الأصل كان أحد أعظم علماء عصره. وهو أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جسم يدور، ويعتبر هو مؤسس علم الفلك الحديث. وكان مشجعاً للعلماء والباحثين على تحدى القوانين السائدة آنذاك وتقديم العلم على العقائد التقليدية. قضى كوبرنيكوس ٢٠ عاماً من العمل على نظرية مركزية الشمس وكان عمله الأساسى تحت عنوان «عن دوران الأجرام السماوية» وقد انتهى من هذا العمل فى سنة ١٥٣٩، وقد ظهر عمله هذا لأول مرة فى سنة ١٥٤٣ قبل وفاته بعدة سنوات. ألقى عدة محاضرات فى روما.

عرض فيها مبادئ نظريته دون أن يثير غضب الكنيسة عليه، وعندما أكمل كتابه عن دورة الأجرام السماوية، لم ينشره خوفا من الكنيسة أيضا ولم يرَ هذا الكتاب النور إلا يوم وفاته. في هذا الكتاب أثبت أن الأرض تدور حول نفسها وتدور حول الشمس. وأن القمر يدور حول الأرض. وأن الأرض والكواكب الأخرى كلها تدور حول الشمس. ترجع شهرة كوبرنيكوس إلى تبنيه فكرة مركزية الشمس، أما الدليل على صحة قوانين كوبرنيكوس أتت على يد كيبلر بعد ٨٠ سنة من وفاته. بعد أن حرر نظرية كوبرنيكوس من جدالها وحولها إلى قوانين.

٢ - تيكو براهه Tycho Brahe (١٥٤٦ - ١٦٠١) كان نبيلًا دنماركيًا ثريا وعمل كفلكي ورياضي وكيميائي، اكتشف مجموعة ذات الكرسي سنة ١٥٧٢ وألف كتاب «النجم الجديد» الذي أكسبه شهرة في أوروبا. ولم يقتنع تيكو براهه بالتسهيلات الفلكية في كوبنهاجن، فذهب إلى كاسل، حيث يوجد المرصد الفلكي هناك وقام برصد النجوم وتحديد مسارها، ثم عاد إلى كوبنهاجن لينشئ مدينة للرصد الفلكي أطلق عليها أورانبيرج (مدينة السماء)، وكانت تضم مساكن ومكتبة ومعملًا وعدة مراصد ومصنعا لما تحتاج إليه من آلات. ولم يكن لديه تلسكوب بالطبع، حيث كان لابد من الانتظار ثمانية وعشرين عاما حتى يتم اختراعه على يد جاليليو، على أن أرصاده هي التي قادت كبلر إلى اكتشافات عظيمة كانت فاتحة لعصر جديد. وقد سجل براهه كل يوم، ولعدة سنوات، حركة الشمس الظاهرية، وكان من أوائل الفلكيين الذين أدخلوا في حسابهم انحراف الضوء وأخطاء الراصدين والآلات، ولذلك عاود إرصاده وملاحظاته مرات ومرات. وكشف عن التغيرات في حركة القمر ووضعها

فى صيغة قانون. وأدى به تدقيقه الشديد فى تفقد أحد المذنبات فى سنة ١٥٧٧ إلى الاعتقاد السائد فى العالم حتى الآن، بأن المذنبات أجرام سماوية حقيقية تتحرك فى مدارات محددة منتظمة، بدلا من كونها تنشأ فى الغلاف الجوى للأرض. ونشر تيكو الجداول الذى جمعت ٧٧٧ نجما، حددها بعناية فائقة على القبة السماوية الضخمة.

٣ - يوهانز كيبلر Kepler (١٥٧١ - ١٦٣٠) عالم فلكى ألمانى كان أول من وضع قوانين تصف حركة الكواكب بعد اعتماد فكرة الدوران حول الشمس كمركز لمجموعة الكواكب من قبل كوبرنيكس وجاليليو وقد جاء بعدهم بثمانية عقود. وهو أول من اكتشف أن مدارات الكواكب ليست فى مدار كروى كامل بل توجد فى شكل قطع ناقص له بؤرتين الشمس تقع فى إحدهما. اهتم كيبلر بدراسة ظاهرة انكسار الضوء وبرع فى الرياضيات بشكل كبير، واستطاع أن يحقق قوانين حساب التفاضل والتكامل. إن قوانين كبلر هى التى ساعدت الإنجليزى إسحق نيوتن على اكتشاف قانون الجذب العام حيث بينت قوانين كبلر أن هناك قوة تجاذبية بين الكواكب.

٤ - جاليليو جاليلى Galileo Galilei (١٥٦٤ - ١٦٤٢) هو عالم فلكى وفيلسوف وفيزيائى إيطالى، ولد فى بيزا فى إيطاليا ونشر نظرية كوبرنيكوس ودافع عنها بقوة على أسس فيزيائية، فقام أولا بإثبات خطأ نظرية أرسطو حول الحركة ومركزية الأرض للكون. وقام بذلك عن طريق الملاحظة والتجربة. كان جاليليو قد دافع عن نظرية كوبرنيكوس بخصوص أن الشمس ثابتة والأرض والكواكب تتحرك حولها. واستاء قساوسة الفاتيكان لأن ذلك مخالف لما جاء فى الإنجيل بأن الأرض ثابتة. وكان اعتقاد رجال

الكنيسة آنذاك بأن الأرض ثابتة والشمس والكواكب تتحرك حولها. وتم اتهام جاليليو بالخروج عن تعاليم الإنجيل والكنيسة.

وفي سنة ١٦١٥ بدأت محاكمة جاليليو بأن أصدر القسيس باولو أنتونيو فوسكاريني كتابا أراد أن يثبت به عدم صحة الاستنتاجات الفلكية لكوبرنيكوس وأنها لا تتطابق مع ما جاء فى الإنجيل. وبناء على ذلك أنشأت السلطات البابوية لجنة تقصى الحقائق ومنعت عدة مخطوطات عن الاستنتاجات الفلكية لكوبرنيكوس وأخرى ليوهانيس كبلر. إلا أن كتاب كوبرنيكوس الأصلي الذى نشر عام ١٥٤٣ لم تمنعه الكنيسة وإنما منعت تداوله. وحفظ حتى عام ١٨٢٢ فى مكتبة الفاتيكان.

وفى سنة ١٦٣٢ اتهم جاليليو بعدم الطاعة، وفى روما حكمت عليه المحكمة عام ١٦٣٣ بأنه يعترض على ما جاء فى الإنجيل. وتم اتهام جاليليو بالاشتباه بالهرطقة. وحكم عليه بالسجن. وفى اليوم التالى خفف الحكم إلى الإقامة الجبرية. ومنعه من مناقشة تلك الموضوعات. وأعلنت المحكمة بأن كتاباته ممنوعة. ومنذ ذلك اليوم اعتكف جاليليو جاليلى فى بيته وأمضى به بقية حياته وحافظ على عدم نقاش نظام كوبرنيكوس علنا. واهتم فى عمله بدراسة حركة أقمار المشترى واتخاذها كأداة لقياس الزمن من أجل حل مشكلة خطوط الطول، ولكنه لم ينجح فى تفسيرها. ثم حول التلسكوب إلى الميكروسكوب. وكان يراقب الأشياء بالمجهر مجرد مراقبة ولكن من غير اهتمام حقيقى. فى تلك الأثناء كتب جاليليو كتابا بعنوان «عالمان جديان». وفيه كتب عن الكينماتيكا وهى علم حركة الغازات، وكتب عن «صلابة المادة» ولقد مدحه أينشتين كثيرا. وسمى جاليليو جاليلى «أبا العلم الحديث».

اعترفت الكنيسة الكاثوليكية بخطئها في عام ١٩٣٩ وقام البابا بيوس الثاني عشر بعد أشهر قليلة من ترسيمه لمنصب البابوية بوصف جاليليو «أكثر أبطال البحوث شجاعة». وفي عام ١٩٩٢ قام البابا يوحنا بولس الثاني بالتعبير عن الندم تجاه الطريقة التي ووجهت بها أعماله. وأعلن الاعتراف بالخطأ التي ارتكبتها الكنيسة الكاثوليكية. وفي مارس ٢٠٠٨ قام الفاتيكان بإتمام تصحيح موقفه تجاه جاليليو بوضع تمثال له داخل جدران الفاتيكان. وفي ديسمبر من العام نفسه أشاد البابا بندكتيوس السادس عشر (ألماني الجنسية) بمساهماته في علم الفلك أثناء احتفالات الذكرى الـ ٤٠٠ لأول تليسكوب عرفته البشرية على يد جاليليو جاليلي.

### اختلاف علماء الشرق

هذا هو الخلاف وتلك هي موضوعاته في بلاد الغرب، أما في بلاد الشرق فالخلاف ممكن أن يكون على أشياء لا يمكن تصورها. حاورني أحد الأشخاص بأنه كيف تعتقد أن الشمس مركز الكون، وأن الأرض كروية، وأنها تدور حول نفسها كما تدور حول الشمس، بل تقوم بتدريس هذا للطلبة وتشوش عقولهم، وأخذ يذكر أسانيد التخليية أحيانا والدينية أحيانا أخرى عن كون الأرض مركز الكون ومنبسطة وليست شبه كروية، وبعد أن علمت أنه حامل لدرجة البكالوريوس، حزنت كثيرا أن يكون هذا مستوى خريجي الجامعات. هذا الأمر تكرر كثيرا، من تلك المرات كان لطيار مدني يحمل الجنسية السورية، قال لي أن الأرض منبسطة وليست كروية كما أراها من السماء، وكان من المستحيل إقناعه. وأحيانا كانت تحول لنا أكاديمية البحث العلمي كتبا

مقدمة للأكاديمية على أساس أنها براءات اختراع بأن الأرض مركز الكون وباقي ما فى السماء هى مصابيح لخدمة الإنسان والحياة على سطح الأرض المنبسطة.

والأكثر غرابة من يعتقدون فى تأثير الأبراج على حياة البشر ومستقبلهم والغيب وقراءة الطالع ومن طلع ومن نزل وهل محبوبس فى أى طالع. كان هذا الاعتقاد مقبولا فى عصور التخلف منذ مئات السنين أن يكون هناك اعتقاد بين التنجيم وبين العلوم الأساسية مثل علم الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء. ولكن الآن وبعد هذه الحضارة والتقدم العلمى فإنه من غير المقبول الخلط بين العلم والخرافة. فى القدم كان يعتقد البعض أن طبائع البشر ومستقبلهم يمكن التنبؤ بها عن طريق تقسيم البشر إلى أربعة أقسام هى قسم نارى أو هوائى أو ترابى أو مائى، وقد جاء هذا التقسيم استنادا إلى بعض النظريات الكيمائية القديمة التى كانت تعزو أن كل ما هو موجود فى الكون لا يخرج عن تلك المواد الأربعة، وأخذ الذين يعتقدون ذلك بتقسيم طبائع البشر حسب طبيعة مادة كل قسم بمعنى أن النارى يكون ذكيا وعصبيا ولكن سريع الغضب، والترابى قوى الشخصية له مهابة عند الآخرين وقوى الإرادة، وهكذا.

وكان هناك أيضا اعتقاد أن ثمة علاقة بين الأبراج الاثنى عشر التى تأتى من دوران الأرض حول الشمس فى ١٢ شهرا، وكل شهر تقع الأرض فى مجموعة نجمية أو مجرية معينة، والبعض من مروجى الجهل والتخلف منذ القدم وجدوا أن ميلاد كل فرد فى برج يجعل التنبؤ بمستقبله ممكن، وكذا قسموا أصحاب كل برج من حيث تاريخ الميلاد إلى طبائع معينة يشترك فيها أقرانه من مواليد هذا البرج،

وسمى بعد ذلك هذا النحو بالتنجيم. إن عملية ربط علم من العلوم الأساسية مثل علم الفلك بالخرافة والتنجيم لجريمة قد تجر المجتمع إلى التخلف والجهل، فعلم الفلك هو القاطرة التي تجر التحضر البشرى منذ فجر التاريخ، فقد كان لعلم الفلك الفضل في معرفة الحساب بغرض عد النجوم وحساب المثلثات لمعرفة مواقعها، كما أن معرفة تركيب الذرة في العصر الحديث وما نتج عنه من بدايات التكنولوجيا الحديثة قد عرفت من خلال الرصد الفلكي لطيف الشمس وانزياح خطوط الطيف. والتطور المذهل الآن في وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية والأقمار الصناعية ما هو إلا ناتج من نواتج عصر الفضاء الذي بدأه علماء الفلك بفك قوانين الجاذبية ودراسة الكون. وهل التطور في وسائل التصوير ما هو إلا ناتج من نواتج تطوير وسائل التصوير الفلكي عبر الأقمار الصناعية؟ ناهيك عن التقدم المذهل بمستويات الكمبيوتر والإنترنت الحالي، ما هو إلا ناتج من نواتج تطوير تكنولوجيات ارتياد الفضاء. وببساطة يمكن القول إن كل العلوم تضافرت من أجل الصحة الحالية وغير المسبوقة في تاريخ البشرية، وغالبا ما يكون علم الفلك هو القائد والبادئ في النظرية والتجريب والمُشاهدة. وكان هذا منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا.

وعند استعادة ما جرى عبر التاريخ نجد أن ارتباط جميع أنواع العلم المختلفة، وليس علم الفلك وحده، بالخرافات وقراءة الغيب كان موجودا، نذكر بيت الشعر المشهور للشاعر العباسي أبي تمام:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

في حده الحدُّ بين الجدِّ واللَّعبِ

بِيضُ الصَّفَائِحِ لَأَسْوَدُ الصَّحَائِفِ

فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لِأَمْعَةٍ

بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ لِأَفَى السَّبْعَةِ الشُّهْبِ

أَيِّنَ الرِّوَايَةِ بَلْ أَيِّنَ النُّجُومِ وَمَا

صَاغُوهُ مِنْ زُخْرَفٍ فِيهَا وَمَنْ كَذِبِ

وفية يصف الشاعر أن السيف والجيش أصدق من الكتابة والكتب

وقد هزم العلم والكتب والمنجمين، وهذا يدل على الاعتقاد السائد أن التنجيم والعلم كانوا شيئاً واحداً في العصور الوسطى.

الآن يجب على المجتمع ألا يعطى الفرصة لمن يعيشون بيننا بقول

العصور الوسطى، ألا يطرحوا تلك الأفكار المدمرة ويؤثرون بها على البسطاء من الناس. بل أحياناً كثيرة تستخدم تلك الوسائل للنصب

على المجتمع وتجميع ثروات من ذلك. يجب مساعدة المجتمع على تغيير عقولهم وفكرهم بأسلوب علمي حتى ينصلح أحوال الوطن.

ومن مصادر الاختلاف أيضاً في بلادنا هو هل العلاج بالبخور أحسن

من العلاج بالأعشاب أو بالحجاب أو بالكي أو ببول الإبل أحياناً أخرى، وتجد الخلاف على أشده، ويمكن أن تجد هذا في وسائل

الإعلام المرئية أو في مساحات على صفحات الصحف والمجلات حتى بعض المؤلفات لبعض المؤلفين الذين يحيون بيننا الآن. ولكن بقول

العصور الوسطى. هذا هو مستوى الخلاف ومستوى موضوعات الاختلاف

عندنا. والغريب أن الإعلام بأغلب أنواعه يتسع لمثل هذه المهاترات

وترى بعينك كيف يخرج الجن من الإصبع الأكبر للمقدم اليسرى من الشخص الذى لبسه هذا العفريت الأكتع.

فى أوائل القرن العشرين، حدث تصادم فى الآراء فى مجتمعنا وصل أحيانا إلى حد تكفير كاتب كبير مثل د. طه حسين بسبب كتابه «فى الشعر الجاهلى»، ولكن تمت تبرئته أمام المحاكم. حدث هذا أمام محاكم شرعية، وتم بهذا الحكم سن قانون لحرية التفكير وحرية الفكر فى بدايات الدولة الليبرالية المصرية التى بدأت بعد انهيار دولة الخلافة سنة ١٩٢٤ لتستمر تلك الدولة حتى سنة ١٩٥٢، قبل أن تتحول إلى دولة عسكرية يحكمها العسكر بلباس عسكرى أحيانا ولباس مدنى أحيانا أخرى. وخاصة منهم من استغنى الجيش عن خدماته فيتولى مناصب مدنية لإدارة شؤون البلاد.

ومنذ أكثر من مائة عام أيضا اختلف صديقان حول ما إذا كان آدم رسولا أم لا، ورفض أحدهم أن يكون آدم رسولا حيث أنه لم يكن هناك بشر غيره فى الأساس، وقام صديقه برفع قضية أمام المحاكم الشرعية لإثبات كفر صديقه ولكن المحكمة ومنذ أكثر من مائة سنة رفضت تلك الدعوى، وقالت لهم اعملوا لصالح هذا الوطن أفضل من التناحر.

ومنذ حوالى ٥٠ سنة رفع ضابط شرطة دعوى بمصادرة وحرق كل نسخ كتاب ألف ليلة وليلة، بدعوى وجود عبارات جنسية، وقد نجح فى إصدار حكم من الدرجة الأولى، ولكن فى الاستئناف تم إلغاء هذا الحكم. أما منذ أكثر من ١٥ سنة، فقد تمكن رجال يحسبون على الجامعة وعلى البحث العلمى الحر فى تكفير أحد زملائهم من الباحثين بإحدى

كليات الآداب، فى واقعة غير مسبوقة، لىبدأ بعدها الانحدار إلى أسفل وبسرعة مذهلة أوصلتنا لما نحن فيه الآن. وقام آخرون برفع قضايا للتفريق بينه وبين زوجته على أساس أنه خرج عن الدين، وبدأ مسلسل محاكم الحسبة التى كانت منتشرة فى العصور الوسطى. إنه التفكير الظلامى على أعتاب القرن الواحد والعشرين. ماذا حدث لنا، أهى هجمة تخلفية من قوى الظلام الجاثمة حولنا، أم إنه مد عشوائى قد نبت خطأ فى تلك الفترة؟

فى كتاب بعنوان «مصر التى لا تعرفونها» لمؤلفه د. وسيم السيسى، أخذ فى الدفاع الحار عن مصر الفرعونية من بعض التهم المنتشرة الآن عن تلك الحضارة الرائدة. وفى دفاعه قال إن المصريين القدماء كانوا يعبدون الواحد الأحد، ودليله على ذلك الكتابة على الهرم الأكبر «أنا واحد ليس لى كفوا أحد». فهل عبادة الواحد الأحد هى التى جعلتهم يبنون تلك الحضارة العظيمة؟ لكن من المعلوم أن قاطنى المنطقة العربية كلهم يؤمنون بالله الواحد الأحد، رغم هذا لا يوجد تقدم أو تطور عندهم. ونفى الكاتب أن يكون المصرى القديم قد جعل من الفيل إليها وسرد الكثير من الأدلة على ذلك. وتطرق الكاتب فى كتابه إلى فن التحنيط ومعرفة نوع الجنين فى بطن أمه قبل الولادة، حتى أن موضوع الهندسة الوراثية كان للمصريين القدماء لهم باع فيه. ورغم أنه يسرد حقائق وأسانيد علمية من أجل الدفاع عن الحضارة المصرية القديمة وكأن تلك الحضارة مدانة أو عليها تحفظ. تلك الحضارة التى أذهلت العالم حتى يومنا هذا تحتاج فى مجتمعاتنا لأحد يدافع عنها، تلك الحضارة التى سئم الغرب من البحث وراثتها فى فن التحنيط ومازال لغزا حتى اليوم، وتعامد الشمس

على وجه الآلهة فى معبد رمسيس الثانى بأبو سمبل، لم نقدر على فك  
طراسمه حتى يومنا هذا.

ولكن يمكن القول إن الكاتب على حق لأن هناك نوعا من التغريب  
لتلك الحضارة الآن. وحتى ذلك الدفاع مثل الحرث فى المحيط فلا  
سامعا ولا قارئاً ولا مستجيباً. لأن كلمة فراعنة الآن وفى عقول الكثيرين  
مرتبطة بالكفر والظلم والطغيان، ومن يريد أن يغير ذلك فإنه يتعرض  
للموم الشديد. هل رأيت شعوباً تلعن أجدادها مثلنا، حتى تاريخنا القديم  
درجة الخلاف والاختلاف فيه تصل إلى حد النقيض. وحتى تاريخنا  
الحديث أيضاً درجة اختلافنا فيه تصل إلى حد النقيض أيضاً. عندنا  
زكام تاريخى فلا نرى تاريخ أجدادنا على حقيقته. والسبب الحقيقى  
فى هذا الزكام التاريخى، الذى هو الجهل، هو محاولة لتغريب الوطن،  
أو حرقه أو حرثه حتى يصلح للزرع الجديد الآتى من الشرق أو الغرب.  
إن تاريخ مصر الفرعونى إرث جميل يجب أن يكون لنا فيه الفخار  
والقدوة الحسنة من أجدادنا ولا نكرهم أو نلعنهم. إننا فى زمان صعب  
نشب فيه الانهيار، فإلى متى، ومتى نتحرر من أفكار دمرت كل جميل  
فى حياتنا؟!!

فى رحلتى لمدينة ميلبورن باستراليا فى يوليو ٢٠١١ لحضور  
مؤتمر رقم ٢٥ للاتحاد الدولى للجيوفيزياء، راعنى هذا الشموخ الذى  
يحيط باسم مصر هناك، كل الإعلانات فى المؤتمر الذى حضرته،  
كانت عن توت عنخ آمون. تحمل صورته وصور مصر فى كل مكان،  
ملك مصر الخالد تربع على عرش تلك البلاد، فى متحف ميلبورن  
الذى يحوى معرض توت عنخ آمون تجد الطوابير بالساعات لنيل

شرف الدخول، حتى مؤتمرنا وهو الدورة رقم ٢٥ للاتحاد الدولي لجيوفيزياء والمساحة، والذي كان يحضره حوالى ٤٠٠٠ عالم من شتى بقاع الأرض كان كل مهمم توفير الوقت لزيارة المتحف ورؤية ملكنا الخالد. هؤلاء العلماء الأفذاذ يقفون حيارى من روعة وشموخ ما يرون من حضارتنا المصرية القديمة العظيمة. وأشير هنا أن المؤتمر يتكرر مرة كل أربع سنوات فى مدينة مختلفة وبلد مختلف. إن اختيار المدن التى يعقد فيها يكون بالانتخاب بين المدن المناقصة، وقد تقدمت مدينة ميلبورن، أثناء دفاعها لنيل شرف التنظيم، بملف وعرض سينمائى لإمكانات ميلبورن فى استضافة المؤتمر رقم ٢٥، كان من ضمن العرض أن مدينة ميلبورن سوف تحوى معرض توت عنخ آمون أثناء فترة انعقاد المؤتمر، وكانت تلك نقطة فاصلة لقبول ملف مدينة ميلبورن لتنظيم هذا الحدث الكونى العلمى الرائع. هم يتاجرون ببضاعتنا، ونحن نحتقر بل نلعن بضاعتنا. هل تتصور أنه من الممكن استضافة القاهرة لأحد تلك المؤتمرات أم أنه حلم بعيد المنال أو يكاد يكون مستحيلا فى الوقت الحالى؟!!

كان عنوان هذا المؤتمر هو «الأرض على الحافة» وكانت المحاضرات عن التغير المناخى وزيادة منسوب مياه البحار والمحيطات، والزلازل والبراكين والتسونامى، وثورات الشمس، وغزو الفضاء، ودراسة الأرض من الفضاء، إلى آخره من الموضوعات التى كانت تقول للعالم إن الأرض وحمايتها هو هدفنا، نحن نخطط للعالم ومستقبله. تلك هى المؤتمرات الدولية وهذا هدفها، وليس مثل مؤتمراتنا التى تكون تقليدا للغرب لا أكثر ولا أقل. ولقد قدم مؤلف هذا الكتاب ورقة بحثية عن التغير المناخى

المصاحب للانفجارات الشمسية الدورية، وكيف أن تلك الانفجارات الدورية لها تأثير دورى على الغلاف الجوى الأرضى وعلى الأرض ككل وخاصة أن تلك المواد التى تخرج من الشمس وإشعاعاتها وتصل إلى الأرض تكون مشحونة وتؤثر بصورة مباشرة على أجهزة الملاحة الجوية وسفن الفضاء وعلى الاتصالات بصورة كبيرة، لحد التدمير الكامل فى بعض الأحيان. وعملية التنؤ بها هام جدا لحماية الثروة البشرية، وأيضا لحماية الإنسان والحيوان والنبات على سطح الأرض.

